‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

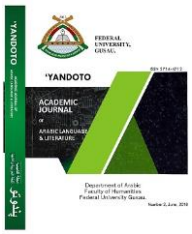

صور من أساليب الأمر في صحيح مسلم

إعداد:
الدكتور علي محمد الثاني جنغيبي

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد الذي بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق وأيده بالمعجزات فدانت له الفصاحة والبلاغة فكان له من رفيع البيان والخظ الأوفى والنصيب الأكمل في حجة البيان وبلاغة القول وفصاحة اللسان، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: أود أن أقدم هذه المقالة "صور من أساليب الأمر في صحيح مسلم" لما للموضوع من دوافع وأسباب عديدة. منها أن الأساليب والإنشاءية لها خصوصية في الكلام البليغ، لما لها من أهمية في إثبات القوة للأفكار والمعاني والمراد مالا يدع مجالا للإنكار أو الشك، ومن ثم كثر مجيئ الأساليب الإنشائية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فصارت الأحاديث النبوية حرية بالدراسات والبحث. ولأن أشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة، وهما قطبا على كل علم، وأصل كل فهم، إذ كانا طريقتان إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى وشكر نعمته وسبيلا إلى إدراك السعادة والفوز بجنته. ولا يصح حقيقة معرفتها إلا بعلم الإعراب الدال على الخطإ والصواب، وعلم اللغة الموضحة الحقيقة العبارة المفصحة على المجاز والإستعارة ةالخبر والإنشاء.[١] كما أن المقالة تشير إلى معرفة الظواهر البلاغية من حيث الأساليب الأمرية في الأحاديث الواردة في كتاب صحيح مسلم.

والأمر من أساليب التي تستدعي الإنباه والأصغاء، وتوقظ المشاعر وكثيرا ما يأتي الأمر لكلام مهم أو وصية غالية أو نصيحة قيمة، ومن الصحيح والأساليب التي ورد عليها الأمر في صحيح مسلم.

هذه الصيغة هي أشهر صيغ الأمر وأكثرها ورودا في كلام العرب وكثر ورودها في صحيح مسلم.

إن أسلوب الأمر في الخديث النبوي كان موضع عناية للأصوليين والفقهاء، ذلك في بيان ما يراد به في أمور الدين من ناحية الوجوب والإباحة وما إلى ذلك من أحكام الفقهية، يقول الشوكاني: "اختلف أهل

١ الخطيب التبريزي، وشرح ديوان الحماسة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الجماري القاهرة، سنة ١٩٨٤م، ص٢٩٧.

العلم في صيغة "أفعل" وما في معناها هل في حقيقة الوجوب أو مع غيره، أو في غيره فذهب بعضهم إلى أنه حقيقة في الوجوب فقط، وذهب بعضهم إلى أنها مشتركة بين الوجوب والندب إشتراكا لفظيا.[١]

والذي عليه جمهور العلماء أن أسلوب الأمر على الوجوب فلا تكون لغيره من المعاني إلا بقرينة لأن حمله الوجوب لا يفوته منه مراده من الندب بخلاف الحمل على الندب.

فالمعنى الأصلي لأسلوب الأمر هو طلب حدوث شيء لم يكن خاصلا وقت الطلب على سبيل التكليف والإلزام من جهة عليا آمرة جهة دينا مأمورة.

ومن شواهد ذلك ما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من الصحابة: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا"[٢]. وأمر الرسول الصحابة على هذه المبايعة على الوجوب وهو أمر حقيقي.

ومثله ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله"[٣].

والرسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلمنا القناعة والشكر لنعم الله علينا التي لاتعد ولا تحصى، وهما أمران الذان تحواهما الحياة، وينال بهما مرضاة الرحمان، فتوسل إلى ذلك بالأمر بالنظر إلى من هو دوننا أولا، واستعمل كلمة النظر التي تشتمل على سائر الأعضاء للفهم، وأكد صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بالنهي عنه. وبضدها تتبين الأشياء، وهو النظر إلى من هو أكثر رزقا أو أعلى منزلة أو أكمل خلقة. وهذا الأمر والنهي الذي أكد به، ترك صلى الله عليه وسلم النفوس متطلعة إلى معرفة الحكمة من توجيهه صلى الله عليه وسلم.

المضارع المقرون بلم الأمر:

والأحاديث الواردة على هذه الصيغة وهذا الأسلوب كثيرة منها: عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"[٤].

---

١ الشوكاني، إرشاد الفحول.

٢ صحيح مسلم (١٨٨/١٨) كتاب الزهد، الحديث (٨٣٥٦).

٣ النووي، محي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم، دار الفكر، ص١٥٥، ١٩٤/٤

٤صحيح مسلم ١٧٦/٩، كتاب النكاح، الحديث ٣٣٨٤.

إنه في مستهل هذا الحديث الشريف ينادي الرسول الله صلى الله عليه وسلم شباب أمته نداء استقطب به عنايتهم، ويثير به هممهم، ثم عقب ذلك بأمرهم بضرورة الزواج متى كان أحدهم قادرا على أموره، وقد توسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر بواسطة أسلوب إنشائي مشوق وذلك هو التقييد بالشرط (من استطاع منكم الباءة) ثم جاء الأمر (فاليتزوج). أما من لم يملك مؤونة الزواج وتتقد فيه الشهوة فقد أمره صلى الله عليه وسلم بالصيام، ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل عن صيغة المضارع المقرون بالا في هذا الأمر إلى صيغة إسم فعل الأمر وذلك حيث قال (فعليه بالصوم) ولم يقل (فليصم). وكأنه صلى الله عليه وسلم بشير بهذا العدول اللطيف عن الأصل إلى الفرع في الصيغة إلى أن الأصل في كبح جماع الشهوة الزوجية وأن الصوم لا يلجأ إليه إلا إذا فقدت القدرة على الزواج، فقدم لنا الصوم كعلاج اضطراري وشتان ما بين الأصل والفرع.

أقامت فعل الأمر بعض الظروف والأسماء مقام الأفعال فمنها ما يقوم مقام الفعل الماضي ومنها ما يقوم مقام الأمر من خصائص هذه الأسماء إفادتها الإختصار والمبالغة ولزومها صورة واحدة كما أشار ذلك العلماء.

وقد ورد بعض هذه الأسماء والطروف في أحاديث صحيح مسلم، ومنها:

ما رواه معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة"[١].

فالشاهد في قوله صلى الله عليه وسلم: "عليك بكثرة السجود لله" فكل ١٠٩٣مه (عليك) اسم لافعل معناه إلزم، ولما أمر صلى الله عليه وسلم ثوبان بكثرة السجود، هيأ بذلك للتطلع إلى معرفة ما للسجود من فضائل حتى أمره بلزوم ذلك، وبعد هذا التشوق علّمه صلى الله عليه وسلم أنه يرفع درجات العبد عند الله ويكفر ذنوبه، وهل للمؤمن مبتغي سوى ذلك؟ وردت هذه الكلمة "عليك" كثيرة في صحيح مسلم، ومثلها كلمة (مه) بمعنى أسكت في الحديث الشريف: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتي النبي صلى الله عليه وسلم أناس من اليهود فقالوا: السام عليكم، يا أبا القاسم! وقال: وعليكم، ففطنت بهم عائشة فسبتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه يا عائشة! فإن الله لا يحب الفحش والتفحش"[٢].

١ صحيح مسلم، ٤٣٨/٤ كتاب الصلاة، الحديث

٢ صحيح مسلم،٣٧٢/١٤، كتاب السلام الحديث ٥٦٢٤.

فصنيع عائشة رضي الله عنها في ظاهره عمل محمود لأنه من باب الإنتصار للمظلوم من الظالم، لا سيما إذا كان المظلوم من من أهل الفضل كرسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه مع ذلك نهاها صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأسكتها بقوله (مه) وهي كلمة التي تعني الزجر وإسكات وأمر بالتوقف عما يريده المريد. ومثل ذلك كلمة (كخ) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كخ كخ" أي أرم بها، أما علمت إنا لا نأكل الصدقة؟ فكلمة (كخ) اسم فعل يستعمل لزجر الصبيان عن المستقذرات، بمعنى أترك، وهي كلمة يقصد بها نهي وتحذير.

مصدر النائب فعل أمر:

يؤتى بالمصادر في موطن فعل الأمر أحيانا، فيؤدي ما يؤديه فعل الأمر من طلب حصول الفعل، ومن ذلك كلمة "عجبا".

لقد ورد هذا الأسلوب في صحيح مسلم فيما رواه صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[١]. أراد صلى الله عليه وسلم أن يظهر لأمته إحدى منن الله على عباده المؤمنين، ولتحقيق ذلك صدر الكلام بقوله (عجبا لأمر المؤمن) أي أعجب لأمر المؤمن.

معاني أسلوب الأمر السياقية في صحيح مسلم:

قد يخرج الأسلوب عن أصله، فيفيد معاني كثيرة يرشد إليها السياق وقرائن الأحوال إلا أن قؤائن الأحوال في الحديث النبوي تختلف عنها في الشواهد اللغوية الأخرى في شعر أو نثر وخاصة في الأحاديث التي تشمل على أحكام الشرعية. إذ يرد قرائن الأحوال فيه إلى عرف الشرع ومقاصده، وإلى دراسة الأدلة من تخصيص وتعميم، أو إطلاق وتقييد أو إجمال وتفصيل في حالة التوافق، هذا وأهم المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر في صحيح مسلم ما يلي:

١– الدعاء: وهو طلب الفعل على سبيل الإستغاثة والتضرع والعفو والرحمة وذلك إذا صدر الأمر من الأدنى إلى من هو أعلى منه منزلة وشرفا ومثال ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الكتاب"[٢] فالأمر في هذا الحديث يراد منه التضرع

١ صحيح مسلم، ٣٢٥/١٨، كتاب الزهد، الحديث ٧٣٢٥،

٢ صحيح مسلم، ٣٥٩/١، كتاب العلم الحديث ٣٧٩.

إلى الله تعالى والتوجه إليه، لأن الله جل وعلا لا يأمره أحد من خلقه، وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء هو إظهار كمال الخضوع لله تعالى عز وجل وشده الرغبة في تحقيق تلك الأفعال، حتى كأنها أمور مطلوبة من الله عز وجل.

٢- الإلتماس: وهو طلب الفعل على سبيل التلطف، وبدون التضرع، ولا استعلاء، وهذا يكون بين النظراء والأنداد المتساوين قدرا ومنزلة[١]. ومثال ذلك ما جاء في حديث الإسراء عن ابن حزم وأنس بن مالك رضي الله عنهما: قالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... ففرض الله على أمتي خمسون صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ فقلت: فرض خمسون صلاة، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك"[٢].

وفي الحديث يخاطب موسى عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الرجوع إلى الله تعالى ليطلب منه التخفيف في فريضة الصلاة، وهو طلب ند من نده، فكلاهما رسول رب العالمين، لا يريد موسى بأمره معنى الإلزام ولا التكليف، ويؤيد ذلك ما رواه في نهاية الحديث: راجع ربك، فقلت: أستحييت من رب" فامتنع من الإمتثال ولم يعد، ولو كان الأمر على معناه الأصلي لكان عاصيا.

٣- النصح والإرشاد: هو الطلب الذي يتضمن معنى النصيحة والموعظة والإرشاد ولم يكن على وجه الإلزام والتكليف. ومثال ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: :إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة"[٣].

ففي هذا الحديث ينصح الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بتلك الخصال الحميدة، وهذه الفضائل العالية، والحديث وإن كان ورودها على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بإلزامها، إلا أن المقام يقضي أن تكون للنصح والإرشاد. ومن هذا القبيل وتلك الأوامر التي ترد على السنة الوعاظ والمرشدين والدعاة والخطباء، وسائر الموجهين فهم يريدون منها النصح والإرشاد، وأن يعبروا عما يضمرونه من حب الخير والإخلاص لأتباعهم، وهذا هو سر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الإرشاد والنصح، ومثله ما دل عل الندب والتأديب ففي صحيح مسلم ما ورد على هذا المنوال بكثير.

---

١ بسيوني، عبد الفتاح فيودي، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، دار المعالم الثقافية السعودية، ص٧٥.

٢ صحيح مسلم، ٤٤٨/١، كتاب الصلاة ١٣٩٩.

٣ صحيح مسلم، ٢١٥٢/١، كتاب صفة القيامة ٢٧٩٤.

٤- التخيير: وهو طلب المخاطب بأن يختار بين الأمرين أو أكثر مع امتناع الجمع بين الأمرين أو الأمور التي تطلب منه أن يختار بينهما.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره، ولكن شرقوا أو غربوا" فالنبي صلى الله عليه وسلم خير بين من أتى الغائط بين أن يشرق أو يغرب.

٥- التسوية: وهي تكون في مقام التوهم لرجهان أحد الأمرين على الآخر: كقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ٢٤٤٣ من كتاب المظالم في صحيح مسلم: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فقد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الظالم والمظلوم في النصرة.

٦- التعجيز: وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوي عليه إظهارغ لعجزه، وضعفه وعدم قدرته وذلك من قبيل التحدي. ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، وأن من صنع صورة يعذب بها يوم القيامة، يقول: أحيوا ما خلقتم"[١] وليس المراد في الحديث التكليف والإلتزام بإحياء ما خلقوا إنما المراد إظهار عجزهم عن الإحياء.

٧- التسخير: وذلك حيث يكون المأمور مسخرا منقادا لما أمر به، وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله عز وجل، ومن ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا فيمن سلف ... أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا خير أب، قال: فإنه لم يبتهر عند الله خيرا، وأن يقدر عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فأسحقوني ... فقال الله عز وجل: "كن فإذا هو رجل قائم"[٢].

فقوله: "كن" لم يكن أمرا به بأن يتحول إلى إنسان كامل الخلقة إذا لم يكن في مقدوره أن يفعل ذلك، ولكنه وجد قدرة الله قد تسلطن عليه فحولته من فحم إلى بشر، دون أن يكون له يد فيما حل به، فالمراد من الأمر إذاً تسخيره، وتكوينه كما يريد الله سبحانه وتعالى.

هذا وهنا أغراض كثيرة غير ما ذكر، التي تفهم في الأوامر التي وردت في صحيح مسلم كالإكرام والإمتنان والإغواء وتنبيه السسامع وإيقاظ مساعره، وإدخال الطمأنينة والراحة في نفس المخاطب.

---

١ صحيح مسلم، ١٦٦٩/٣، كتاب اللباس، الحديث ٢١٠٦.

٢صحيح مسلم، ٢٣٩/١، كتاب المساجد الحديث ٩٣٣.

الخاتمة:

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، وإلى هذا تمت هذه المقالة "صور من أساليب الأمر في صحيح مسلم" لقد حاولت المقالة بقدر الإمكان بيان أساليب الأمر، والإتيان بصيغة الأصلية وأغراض كل منها، على ما كان معروف لدي البلاغيين، وعلى ما جاء في الأحاديث الواردة في صحيح مسلم وإبراز ما فيها من أوجه البلاغة.

واستنتجت المقالة بأن أسلوب النبوي يمثل ذروة البيان بعد كتاب الله تعالى، ويتمتع بخصائص بلاغية راقبة قادرة على النهوض بالبلاغة العربية إذا استحسن إستغلالها ومنحت حقها من الدراسة والتحليل، وأن الحديث النبوي نص أدبي في الذروة من البيان لا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة وأن أسلوب صلى الله عليه وسلم متكامن محكم جامع لأرقى مواصفات البيان مؤازر بالوحي ومتميز بقوة الفطرة وعراقة النشأة اللغوية وأن تأثيرهس على اللغة العربية وعلومها مائل في جميع المستويات العلمية.

وعلى الدارسين في علوم اللغة العربية عموما والباحثين في البلاغة العربية خصوصا الإتجاه نحو البيان النبوي المدون في كتاب الحديث الصحيحة، فإن الحديث النبوي سيظل ميدانا رحبا ومجالا متسعا لكثرة من الدراسات البلاغة المتميزة والتي نعود على بلاغتها بلاغة العربية بالنماء والإزدهار والمتعمة والفائدة، والحمد لله وصلى الله على النبي الكريم.

المراجع:

- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت لبنان ط:١ سنة ١٩٨٣م.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام الرياض ط:١ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- ابن الصلاح الشهرزوري، صيانة صحيح مسلم، دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار العلوم بيروت، سنة ١٩٧٩.
- ابن يعيش شرح المفصل دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٩٨١م.
- أبو موسى محمد محمد (الدكتور)، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مكتبة وهبة القاهرة ط: ١ سنة ١٤٠٨هـ؟١٩٩٨م.
- أحمد عبد النور المالقي، وصف المباني في شرح حروف المعاني، دار الفكر بيروت، سنة ١٩٩٦م.
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة ط:٥، مكتبة المحمودية القاهرة، سنة ١٩٩١م.
- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط: ١٢، سنة ١٣٩٨هـ.

– أمين بكري الشيخ (الدكتور)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩١م.

– بسبوني عبد الفتاح فيودي، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، دار المعالم الثقافية، الأحساء السعودية بدون سنة.

– جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دارمطابع الشعب القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

– جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، سدار المعرفة بيروت لبنان، بغير سنة.

– الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، دار قتبة ط:١، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، القاهرة.

– الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الفكر بلا تاريخ.